نجم فن التصوير الفوتوغرافي الفنان « عبدالرحمن الغابري »:

الصحافة قائمة على الصورة وبدون الصورة لن توجد صحافة بالمعنى الصحيح!

الفنان المصور الصحفي عبدالرحمن الغابري يؤكد دائماً من خلال ماتلتقطه عدسته من صور بديعة ومعبرة ويقدمها للقارئ... إنه ذلك الصحفي الذي يبحث عن الارتقاء الدائم لمهمته ومهنته..

التقطت عدسته صوراً تساوي في قيمتها تاريخاً وموروثاً حضارياً لاغنى عنه على الاطلاق ورغم هذا لم ينل أي تكريم...

حول مشواره ومشاريعه القادمة وغيرها كان هذا الحوار:

حاوره/محفوظ البعيثي

تعتمد الصورة في قراءتها على ثقافة ووعي المتلقي

● سؤال تقليدي، متى و كيف كانت بداية الفنان عبدالرحمن الغابري مع فن التصوير الفوتوغرافي؟

– منذ حوالي ٣٦ عاماً كانت بدايتي مع فن التصوير الفوتوغرافي وكانت البداية موهبة نمت بداخلي لأصبح بعد ذلك مغرماً وعاشقاً عشقاً أبدياً لهذا العمل الذي لا أستطيع حتى أن أتخيل حياتي إلا معه فهو زادي ومتعتي الجميلة...

الطبيعة..تنمي الموهبة...

● وهل للطبيعة دور في دفعكم الى هذا الفن البديع؟

– بالتأكيد... فلطبيعة عتمة الخلابة دور أساسي وفي اعتقادي أنه لولا الطبيعة تلك التي عشت فيها في بداية حياتي ماكنت وصلت الى ماوصلت اليه اليوم وماأعطيت هذا العطاء، فالطبيعة هي التي تنمي الموهبة وهي المحاكي لكل حواس الانسان وحين تحببها تثريك بعطائها وتجعلك ترى كل من حولك بصورة جميلة ومجردة من «الأنا» والتعالي... والطبيعة تخلق الجمال في النفوس..

● كيف حصلت على أول كاميرا ولمن التقطت أول صورة؟

– كانت الظروف حينها غير ظروف اليوم وبجهد شخصي حصلت على أول كاميرا وكانت بسيطة جداً في حجمها وامكانياتها... وكبيرة وشيئاً عظيماً وقيِّماً.. في نفسيتي عندما حصلت عليها في الستينيات واستطعت أن أتعامل معها وأوظفها بصورة جيدة،أما أول صورة التقطتها عدستي فكانت لأمي والحقل وتحديداً في عام١٩٦٧م.

مهارات خاصة

● ماهي مهارات الفنان الغابري في صنع الصورة؟

– لكل مبدع أو فنان مهاراته الخاصة، ومهارتي نابعة من نفسي ومن الطبيعة التي عشت فيها وجعلتني أواكب كل جديد ومستمر في البحث عن عوامل إنجاح الصورة وايصالها للقارئ والمشاهد الذين بدورهم يستطيعون التمييز بين المبدع المتمكن والموهبة التي تحتاج لمن ينميها ويطورها..

● وهل تعتقد أن صحافتنا قد استوعبت معاني فن التصوير الصحفي؟

– لا أعتقد ذلك فكما أن هنالك صحفاً مستوعبة لهذا الفن فإن صحفاً اخرى تجهل مغزى الصورة رغم أن الصحافة أصلاً هي قائمة على الصورة وبدون الصورة ليست هنالك صحافة بالمعنى الصحيح والصورة الصحفية هي البرهان وهي البطل في الصحافة والقلة هم من استوعبوا معاني ودلالات الصورة وأولهم طبعاً الاستاذ المرحوم عبدالله سعد الذي كان اكثر وعياً بمضامين الصورة الصحفية والصورة تعتمد في قراءتها على ثقافة ووعي المتلقي«المشاهد والقارئ» وكلما كانت ثقافة وذكاء الشخص أوسع كلما عرف مضمون ومعاني ماتحمله الصورة أكثر وقراءتها قراءة صحيحة وجميلة.

● من يطغى على الآخر في حالة النشر معاً الصورة أم التحقيق؟

– الصورة بحد ذاتها تحقيق وقضية وهي أيضاً أساس أي تحقيق، وبدون الصورة الصحفية لامعنى لأي تحقيق أو قضية صحفية.

● علمنا ان جزيرة سقطرى أخذت الكثير من وقتكم وجهدكم فلماذا كل هذا الاهتمام بسقطرى بالذات؟

– اعتبر نفسي أول من أبرز جزيرة سقطرى في نهاية الثمانينات من خلال ما أقمته من معارض وبإمكانياتي الخاصة حيث أقمت لها سبعة معارض وقبل أن تعلن محمية طبيعية وفي اعتقادي الشخصي أن جزيرة سقطرى أجمل منطقة و أجمل جزيرة في العالم من حيث ماتختزله من مقومات سياحية ومناظر طبيعية ساحرة ومالها من تنوع بيئي وموروث حضاري.. لهذا لا أشعر انني قد أديت كل ماعلي نحوها وبعكس معظم المناطق والمحافظات التي زرتها وأشعر بالرضا عن الجهود التي قمت بها نحوها..

● وكم عدد المعارض التي أقمتها؟

– اقمت الى الآن حوالي ٥٦معرضا محلياً وعربياً ودولياً الى جانب مساهمتي في عدد آخر من المعارض عربياً ودولياً...

عنصر نسائي

● كيف تقيمون واقع التصوير الصحفي ؟

– واقع التصوير في بلادنا لم ينل حقه من مساحة الاهتمام والتكريم نتيجة لبعض المصورين الذي يسيئون لهذه المهنة عندما يعتبرونها سلعة ومكسباً مادياً لاغير! ورغم هذا الا أني متفائل بالمواهب الشابة التي ستظهر على الساحة في القريب وخاصة العنصر النسائي منها وهذا مالمسته في عدد من الدورات التي درست وأدرس فيها ومعي زميلة من التلفزيون «مصورة» حيث وجدت في الفتيات اللاتي ندرسهن روح الإصرار والتحدي واعتبرهن مشروع النجاح الحقيقي لمستقبل التصوير الفوتوغرافي.

● ماهي شروط النجاح التي يجب توفرها في فنان التصوير الفوتوغرافي؟

– في اعتقادي أن الوعي والثقافة وحب هذا الفن البديع من أهم شروط النجاح ومن ثم الاستمرار في تطوير صنع الصورة الصحفية الجيدة والمتميزة.

إهمال متعمد

● علمنا منكم ومن الغير بأن صوراً التقطتها عدستكم واعطيتموها لصحف عديدة تنشر بدون ذكر مصدرها«اسمك» ترى ماسبب هذا التجاهل...؟

– هذا إهمال متعمد من قبل بعض الصحفيين الذين يعتبرون انفسهم محترفين وهم غير ذلك للأسف الشديد حيث لايهمهم ذكر اسم ملتقط الصورة بقدر اهتمامهم بذكر اسمائهم على المواد الصحفية التي تنشر وهذا ناتج عن قصور في الوعي والثقافة وكيفية حفظ حقوق الغير والتعامل مع هذا الحق الأدبي والفكري..

وفي العالم اجمع وحتى في بعض البلدان العربية ينشر اسم المصور بجانب اسم المحرر وفي أحيان كثيرة يذكر اسم المصور الصحفي في المادة الصحفية أولاً ومن ثم اسم المحرر الى جانبه وكما ذكرت في سؤالك ان العديد من الصور التي تخصني نشرت بأسماء آخرين رغم أنني الذي اعطيتها لتلك الصحف التي تنسبها للغير ومع ذلك نتغاضى لأن التضحية مطلوبة من اجل المحافظة على الود فيما بين زملاء المهنة ، ونحن نعمل حالياً مع آخرين للتوعية بضرورة تفعيل حقوق الملكية الفكرية ولاأنسى أن أذكر لك في نهاية اجابتي هذه عن سرقة لصوري فهنالك صور فاز بها غيري في مسابقات عربية فمثلاً في الكويت حصل أن كان هنالك مسابقات للصورة ودخلت فيها باسم احد ابنائي الى جانب متسابقين ومتسابقات آخرين ضمن مسابقة اقليمية للصورة ولكني فوجئت في نهاية المسابقة أن الصورة التي قدمتها للمسابقة نسبت للغير« لفتاة كويتية» ونالت عليها المرتبة الأولى!

● متى يكون لفن التصوير الفوتوغرافي جمعيته الخاصة؟

– لم نصل بعد الى هذه المرحلة وليس هنالك تفكير في الوقت الحالي لتأسيس جمعية واعتقد ان هذه الفكرة ستطرح في الوقت المناسب وخاصة عندما يبرز العديد من الشباب والشابات الموهوبين الجدد والمتميزين.

البردوني في الصورة الفوتوغرافية

● هلاَّ ذكرتم لنا بعضاً من ذكرياتكم مع أديب اليمن الكبير المرحوم عبدالله البردوني؟

–انها ذكريات جميلة حقاً، فقد تابعت حياته رحمه الله منذ الستينيات وذكرت جزءاً منها في برنامج الزميل العزيز/ اسكندر الاصبحي التليفزيوني حينذاك وضمن البرنامج كانت هنالك فقرة«البردوني في الصورة الفوتوغرافية» هذا حصل في الذكرى الأولى لرحيله طبعاً، وكانت مسيرته حافلة بالعطاء الغزير ثقافياً وسياسياً..

وهي مدونة في ارشيفي، وكانت تربطني به علاقة حميمة تدفعني دائماً هذه العلاقة في حياة الأديب الكبير البردوني الى زيارته من وقت الى آخر وخاصة يوم الجمعة حيث كنت اصطحب في زيارتي ابنائي وتابعته بالصورة.. منذ الستينيات كما ذكرت سابقاً..

معرض كبير... ومعلومات جديدة

● ماهي مشاريعك القادمة؟

– مشاريعي كثيرة وطموحة جداً وأنا أعمل على تحقيقها الى جانب أن هنالك أشياء ثرية.. سأطلع الناس عليها لأول مرة من خلال معرض كبير سأقيمه بمناسبة «صنعاء عاصمة للثقافة العربية في هذا العام وسيشمل هذا المعرض على عدة محاور وأبرزها المحاور ذات البعد الفلسفي للصورة وذات البعد التجريدي والسريالي والتشكيلي في الصورة الذي ربما أنا انغمست فيه كثيراً، والاستاذ الاديب خالد الرويشان- وزير الثقافة والسياحة يلح عليّ بالمساهمة في فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م وسأعمل على الانتهاء من هذا العمل في القريب وضمن فعاليات هذا العام.

● ماهي الأمنيات التي تراودك وتتمنى تحقيقها؟

– امنياتي عديدة ومنها أن أخلق وعياً بالصورة ذات البعد الفلسفي.. عند عامة الناس، وأتمنى من الدولة أن تنصف المبدعين في كل المجالات لأن المبدع يعاني من اجل الآخرين ومن أجل الوطن وتقدمه.

الفتيات هن مستقبل التصوير الصحفي وفي القريب ستجدوهن على الساحة

البحوث الإعلامية العربية بين التبعية والاستقلال (١)

محمد القعاري ●

● حتى قبل ثلاثة عقود تقريبا لم يكن لدى العرب ما يعرف بـ «بحوث الاتصال الجماهيري» وحتى الفترات المتلاحقة التي تلت منتصف السبعينات في القرن الماضي كان النتاج العلمي العربي في هذا المجال متواضعاً ، إن لم يكن منعدماً وبالتالي فإن معظم الدراسات العربية كانت في الأغلب عبارة عن ترجمة لمعظم البحوث والدراسات التي جرت في أوروبا والولايات المتحدة هذا من جانب ثم قيام الباحثين العرب بتطبيق هذه الدراسات والبحوث على واقع البيئة العربية المختلف كلياً عن واقع البيئة تلك من جانب آخر، مما أدى الى تشابك التعقيدات المنهجية مع مناخ البيئة الاتصالية أوجد بالتالي قصوراً علمياً ومنهجياً نتج عنه غياب الرؤية العربية في مجال وسائل الاتصال عموماً ونظريات التأثير على وجه الخصوص.

وإذا كانت دراسات الاتصال في أوروبا والولايات المتحدة قد انبثقت في بداية القرن العشرين من رحم علمي الاجتماع وعلم النفس، فإن نتاج معظم تلك الدراسات كانت في الأساس مرتبطة بهذين العلمين ، وبالتالي فإن معظم الفرضيات والمداخل والنماذج والنظريات الاتصالية والتي بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الأولى «١٩١٤-١٩١٨» وما تلاها كانت مرتبطة بشكل أو بآخر بمناهج علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي كذلك.

وعندما حاول علماء الاتصال تأسيس علم مستقل خاص بهم كأحد فروع العلوم الاجتماعية الرائدة التي برزت منتصف أربعينيات القرن الماضي نتيجة تطور الأبحاث التجريبية ومعرفة طرق قياسها كماً وكيفاً، وبينما هم منكبون على وضع الأسس التي سيقوم عليها علم الاتصال انقسموا الى قسمين ، قسم أخذ بما يعرف بالمدرسة « النقدية» التي ظهرت بمدينة«فرانكفورت» الألمانية بقيادة « هورخيمر» القائمة على اعطاء الأولوية في التحليل على المحيط الثقافي والاجتماعي التي تتم فيه عملية الاتصال ، بينما أخذ القسم الآخر بما يعرف بالمدرسة الامبيريقية التي ظهرت بمدينة «شيكاغو» الأمريكية بقيادة عالم الاجتماع «بول لازرسفيلد» والقائمة على إستخدام الأساليب الكمية والمداخل الوظيفية حيث ركز الباحثون المنتمون لهذه المدرسة على دراسة الوسيلة الإعلامية وآثار الاتصال ولا يهتمون بالسياق الذي تتم في إطاره العمليات الاتصالية ويرفضون البحث النظري المجرد الخالي من المعطيات الموضوعية ولعل مما يفسر الجانب الأساس من جوانب القصور التي افضت الى هذه المعاناة تأثر أبحاث الاتصال في العالم العربي بتوجه المدرسة الأمبيريقية في البحث العلمي الذي تلعب فيه الأرقام والنسب المئوية دوراً حاسماً ، يستخدم فيه الباحثون الطرق الاحصائية في تحليل البيانات ومعالجتها ورغم أهمية هذا الاتجاه البحثي للتصدي لبعض الظواهر إلا أنه شجع ما يعرف بالأبحاث القصيرة وهي أبحاث تهتم بقضايا جزئية ولا تولد اتجاهاً نظرياً واضحاً والابتعاد كلياً عن الأبحاث ذات الأمد الأبعد ذات التوجه الكلي بقضايا المجتمع وثقافته ، كما أن هذا التوجه أضعف الإطار النظري الذي كثيرا ما تطوره الابحاث الكيفية والتي تتسم بدراسة الظواهر الإعلامية ذات الطابع التفاعلي في أطر تحليلية نقدية أكثر عمقاً نجم عنه ضعف المساهمة في البناء النظري لأن ما ينتج عن هذه الأبحاث كم هائل من المعلومات لا تؤدي الى تدعيم النظريات الموجودة أو فتح آفاق نظرية جديدة .

ولعل التوجهات التاريخية والوصفية لدى الكثير من الباحثين العرب والتسليم باقتناعات الباحثين الغربيين واتجاهاتهم خاصة المنتمون للمدرسة الأمبيريقية « التجريبية» في فهم وسائل الإعلام ستسهم في التركيز على الكم مقابل الكيف في الكثير من الدراسات التي تناولت نظريات تأثير الاتصال ، كما يمكن النظر الى الرؤى الخاطئة التي تبناها كثير من الباحثين العرب والتي مفادها أن العلم لا وطن له جعلهم يعتمدون على النقل والاقتباس من المدارس الغربية مما أفقد الباحثين العرب سماتهم الخاصة إذ أن هذه الرؤية قد تنطبق جزئياً على العلوم الطبيعية، ولكنها بالقطع لا تطبق على العلوم الإنسانية وفروعها التي تتأثر بالخصوصية الثقافية لكل مجتمع فضلا عن اختلاف معدلات التطور الاجتماعي والاقتصادي والبيئي والظروف المجتمعية العامة التي حكمت مسيرة كل مجتمع وحددت خلفياته الثقافية وسماته النفسية والأنماط السلوكية لأفراد مجتمعه ، كل هذه السمات وغيرها انعكست على التراكمات العربية في مجال نظريات الاتصال انعكاسا سلبياً حيث عانت الدراسات التطبيقية من فجوة منهجية بين ما تورده في إطارها النظري من عرض للنظرية وبين ما تورده في الإطار التطبيقي، إذ تتسم معظم الدراسات العربية بعدم تناول النظرية بالشكل الشمولي المتكامل مقتصرة على رصد وصفي تاريخي للنظرية دون أن يشتمل ذلك بتناول البناء الفلسفي للنظرية والتجارب التي مرت بها وهي في طور النشأة والتطبيقات الميدانية لقياس فرضياتها بما يتوافق مع البيئة العربية أو من خلال محاكاتها – أي الدراسات التطبيقية العربية– لبعض الدراسات غير العربية في تطبيقها للنظرية مما يعني قصورها في تحديد شخصية مستقلة للنظرية تتواءم مع البيئة العربية فكان ذلك وراء تعثر الباحثين العرب في بناء رؤية بديلة في النظرية الإعلامية..

ويرجع سبب التعثر الى مجموعة من الأسباب لعل من أهمها ما يلي:

– التركيز على الأبحاث وفقاً لاتجاه المدرسة الاميريقية التي تركز على استخدام الأساليب الكمية والمداخل الوظيفية ولا تهتم بالسياق الذي تتم في إطاره العمليات الاتصالية.

وكما يقول أحد الباحثين أن التركيز على الأدوات البحثية على حساب الجوانب النظرية يوشك ان يحيل أقسام الإعلام ومراكز الأبحاث الإعلامية الى مراكز لجمع المعلومات بدلاً من التفسير والتنظير العلمي الذي يدفع بالمعرفة الإنسانية قدماً..

ولعل الاهتمام الزائد بالبحوث الكمية قد دعا أحد العلماء النقديين الى مخاطبة أحد زملائه التجريبيين قائلا: لقد تعلمت ببحوثك الكمية كيف تعد وتحسب ولكنك توقفت عن التفكير..

– إن معظم الباحثين العرب بنوا فرضيات دراساتهم على إحدى نظريات الاتصال إلا أن معظمهم لم يربط نتائج دراسته بمفهوم النظرية وفرضياتها تأكيداً أو نفيا مما يعني ان الدراسات اقتصرت على عرض النظرية في الإطار النظري لدراسته فقط مما عكس جانبا في جوانب القصور في التجربة العربية.

– شح المكتبة العربية من الدراسات التقويمية والنقدية القائمة على الشرح والتفسير والاستنتاج والربط المنطقي بما يسهم في المعرفة التنظيرية وتعميقها بشكل أوضح وأوسع

– لم تظهر وسائل الإعلام العربية كأنظمة مستقلة بعيداً عن مكونات الأنظمة السياسية والاجتماعية والحضارية والتي كان لها انعكاساتها المختلفة على المستويات البحثية والتطبيقية العلمية.

– قلة بحوث دراسة الحالة التي عادة ما تكون ثرية وشاملة وعميقة .

– عدم التوسع في استخدام المناهج العلمية المتاحة فالملاحظة والتجارب المعملية والتي عادة ما تشجع على المزيد من الفرضيات الخلاقة التي تثري المعرفة المتخصصة.

– قلة الأبحاث ذات المنهج المقارن والذي يتم من خلاله إجراء دراسات مقارنة بين الظواهر والمشكلات موضوع الدراسة والتي تدفع الباحث الى مزيد من صياغة المفاهيم النظرية ، وهي بذلك ستشكل أهمية شديدة، في توضيح النظرية وتوسيع دائرة المعرفة للظاهرة المدروسة.

– إقتصار معظم المصادر العربية على النقل والترجمة مما أوقعها فيما يمكن أن يوجه الى أدبيات البحث العلمي في مجال نظريات الاتصال بل انه أضاف مساحة أكبر من الغموض الناتج عن الترجمة وما تمخضت فيه من تباينات واجتهادات مختلفة من قبل الباحثين أحدثت تشوشاً منهجياً يصعب فهمه من قبل الكثير من الدراسين والمهتمين بدراسات الإعلام عموماً ونظريات التأثير على وجه الخصوص.

وقد تبين للباحث من خلال التراكمات العلمية العربية في مجال نظريات التأثير أن الباحثين العرب قد ركزوا على المنهج الكمي دون الكيفي بنتاج علمي تجاوز أكثر من « ١٠٠عنوان» إلا أن معظم تلك الدراسات والبحوث عبارة عن دراسات سطحية لإحدى النظريات الاتصالية كما ظهرت في موطنها الأصلي أوروبياً أو أمريكياً.

مما أفقد تلك الدراسات سماتها وخصوصياتها ومن ثم استقلاليتها وإبداعاتها العلمية ومساهماتها الفكرية..

● باحث في علوم الإعلام والاتصال الجماهيري